ويبرر هذا الغياب للتبصر بسرد تجربة الماضي، حيث لم يرتكب المسيحيون مذابح إلا قبل حرب «سلامة الجليل»، وفقط ردا على مذابح نفذها المسلمون ضد سكان مسيحيين فقط! وكذلك استنادا إلى السلوك المنضبط للكتائبيين خلال تنفيذهم بعض العمليات بعد دخول جيش الدفاع إلى لبنان. وأشار رئيس الأركان أيضاً إلى تطور الكتائب من ميليشيا إلى قوة عسكرية نظامية، ومنظمة. كما أشار إلى مصلحة قيادة الكتائب، وأولا وعلى الأخص بشير الجميل، في التصرف باعتدال ازاء السكان المسلمين، لكي يكون الرئيس المنتخب مقبولا من جميع طوائف لبنان. وأشار رئيس الأركان أخيراً، في تبريره لموقفه، إلى أن أحدا من خبراء جيش الدفاع او الموساد لم يعرب عن اية تحفظات بشأن العمليات المقترحة في المخيمات.

إننا لسنا على استعداد لتقبل هذه الايضاحات. فليس، برأينا، لأي من هذه الأسباب قوة الغاء القلق الخطير بأن قوات الكتائب، في دخولها إلى مخيمات اللاجئين، سوف ترتكب أعمال القتل دون تمييز. إننا نرفض حججا من هذا النوع في هذا الجزء من التقرير الذي يتناول المسؤولية غير المباشرة، وكذلك في نقاشنا للمسؤولية التي تقع على وزير الدفاع. والأسباب التي قدمناها هناك تنطبق أيضا على موقف رئيس الأركان. أما هنا فسنلزم أنفسنا بتعليل مختصر.

إن تجربة الماضي لا تبرر بأي حال الاستنتاج بأن دخول الكتائبيين إلى المخيمات لا يطرح مخاطر. فقد كان رئيس الأركان على علم تماما بأن الكتائبيين كانوا متشبعين بمشاعر الكراهية نحو الفلسطينيين، وأن مشاعرهم لم تتغير بعد حرب «سلامة الجليل». والعمليات المعزولة التي شارك الكتائبيون فيها خلال الحرب تمت في أوضاع مختلفة تماما عن تلك التي نشأت بعد اغتيال بشير الجميل. وكما يمكن للمرء أن يستنتج من طبيعة تلك العمليات الماضية، فإنه لم يسبق وجود أي حالة وضعت فيها منطقة يسكنها لاجئون فلسطينيون تحت السيطرة الكاملة للكتائبيين. لقد كان لدى رئيس الأركان، في عدد من المناسبات، أشياء مزعجة وواضحة ليقولها بشأن أسلوب القتال بين المذاهب والطوائف في لبنان، وبشأن مبدأ الثأر المتجذر فيهم. وفي هذه القضية نحتاج فقط للاشارة إلى الوقائع المفصلة المقدمة في التقرير. لقد سبق وقلنا في عدد من المرات بأن صدمة اغتيال بشير الجميل ومجموعة من رجال الكتائب، كانت كافية لاثارة الكتائبيين. إن من الصعب تفهم كيف يمكن تبرير تجاهل تأثير هذا الحادث في نفوس شعور بالثأر والكره إزاء كل أولئك المعادين للكتائب، وفي المقام الاول الفلسطينيين، أن الاعتبار بأن التنظيم العسكري للكتائبيين وتراتبيتهم وانضباطهم الظاهر قاد إلى تغيير في أسلوب قتالهم، كان خادعا. ولقد سبق وأشرنا إلى ذلك.

أما غياب تحذير من قبل الخبراء فلا يمكن أن يشكل تفسيرا لتجاهل خطر المذبحة. فرئيس الأركان كان يجب أن يعلم ويتنبأ، بفضل الوعي العام، وكذلك المعلومات الخاصة الموضوعة بتصرفه، بأن هناك احتمالا بحدوث أذى لسكان المخيمات على يد الكتائبيين. وحتى إذا كان الخبراء لم ينجزوا واجبهم، فإن هذا لا يحل رئيس الأركان من المسؤولية. إن قرار إرسال الكتائبيين إلى المخيمات اتخذه وزير الدفاع ورئيس الأركان، ويجب أن ينظر إلى رئيس الأركان كشريك في هذا القرار ومتحمل لمسؤولية اتخاذه وتطبيقه على السواء. إن رئيس الأركان لم يبد أية معارضة او تحفظ على قرار وزير الدفاع، ولا أحد يستطيع المجادلة في انه اتخذ بموافقته. ولا سبب للشك في أن ابداء رئيس الأركان لمعارضته أو تحفظه كان يمكن ان يكون له تأثير كبير في اعتبارات القرار، وأن خلافا في الرأي بينه وبين وزير الدفاع كان يمكن بسهولة أن ينقل المسألة إلى رئيس الوزراء للتقرير فيها. لقد بدا واضحا في شهادة وزير الدفاع، كما سبقت الاشارة، أن معارضته لارسال الكتائبيين إلى المخيمات كانت ستعني أنهم لن يرسلوا إلى هناك، وأن اجراءات أخرى (فصلها هو في شهادته الواردة سابقا) كانت ستتخذ للسيطرة على المخيمات.

وإذا كان رئيس الأركان لم يتصور على الاطلاق بأن دخول الكتائبيين يشكل خطرا على السكان المدنيين، فإن تفكيره في هذه القضية بشكل اهمالا لاعتبارات مهمة كان يجب ان يأخذها في حسابه. أضف إلى ذلك انه بالنظر إلى أقوال رئيس الأركان التي وردت قبلا، فإن من الصعب تجنب الاستنتاج بأن رئيس الأركان تجاهل هذا